جوانب من ملاحم البطولة والتضحية لقوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة فوق إقليم الولاية الثانية معارك عين القصب، السطيحة وسيدي سالم نموذجا.

Aspects of the heroism and sacrifice of the arm convoys of Wilaya 3 on the territory of Wilaya 2. The battles of Ain Laksab, Stiha and Sidi Salem as a model.

الأستاذ دراجي صالح. طالب دكتوراه، فرع قانون جنائي
جامعة عنابة .كلية الحقوق و العلوم السياسية
Salah.derradji@univ-annaba.dz

ت. الإرسال: 27– 07 – 2022	ت. المراجعة:18 – 08 – 2022	ت. القبول: 21 – 08 – 2022

الملخص: تعتبر قضية إمداد الثورة بالسلاح من المواضيع الهامة التي شغلت بال وتفكير قيادة الثورة، وبالخصوص عقب امتداد الكفاح المسلح إلى كامل التراب الوطني. و قد أوكلت مهمة جلب السلاح من الخارج إلى فرق خاصة سميت بـ «قوافل التسليح».

لقد أبلت هذه القوافل البلاء الحسن من اجل إيصال السلاح إلى الكتائب المقاتلة، متحدية تدابير وحواجز الجيش الفرنسي في هذا المجال، و واجهت فيالقه بكل شموخ وكبرياء في الكثير من المواقع، مؤرخة بذلك لأروع صور البطولة والتحدي. وحول هذه الفكرة ترتكز هذه الورقة البحثية التي نعالج من خلالها تسليح الثورة والسياسة الفرنسية الهادفة إلى منع وصول الأسلحة إلى جنود جيش التحرير الوطني ودور قيادة الثورة في التصدي لهذه السياسة و تحدي قوافل التسليح لكل الصعوبات وكنماذج لذلك تقتصر الدراسة على قوافل تسليح الولاية الثالثة التاريخية بإبراز جانب من بطولات وتضحيات أفرادها فوق تراب الولاية الثانية.

الكلمات المفتاحية: قوافل التسليح، الولاية الثالثة، البطولة خط موريس وشال.

Abstract : Supplying the revolution with weapons was one of the crucial issues for the revolution command, especially when the armed struggle spread throughout the national territory. The task of bringing weapons from abroad was assigned to special teams called “Arms Delivery Convoys”. These convoys sacrificed to deliver weapons to the maquis, defying all the measures and obstacles of the French army, and confronting its regiments with arrogance and pride in many places, thus chronicling the most beautiful images of heroism and endurance. This study revolves around this idea and focuses on the challenge of these convoys in their task, in addition to the role of the revolution command to face the French policy which aimed at neutralizing any action intending to supply ALN fighters with arms. And as a model, the study is limited to the arms convoys of historic Wilaya 3, highlighting some aspects of its sacrifices on the historic Wilaya 2 territory.
Key words: arms convoys, Wilaya 3, heroism, lines of Charles and Morris.

المؤلف المرسل: دراجي صالح، الإيميل: salahderradji1954@gmail.com

مقدمة: يعتبر تسليح الثورة الجزائرية من أصعب المهام التي واجهها قادتها ومفجروها، ذلك أن السلاح هو الركيزة الأساسية لأي عمل مسلح. ولهذا كان الشغل الشاغل لهؤلاء القادة، أولا بوعي منهم، وثانيا أنه التزام تاريخي أخذوه على عاتقهم بضرورة توفير السلاح لاستمرار الثورة والوصول إلى هدفها مهما كانت الظروف.
وتحتل قوافل التسليح الصدارة في موضوع التسليح لكونها هي همزة الوصل بين مصدر السلاح والمجاهدين المحاربين، فهي التي تمدهم بالسلاح وبالذخيرة، وبالخصوص عقب التحاق أعداد هائلة بالثورة واتساع رقعتها.

و تتجلى أهمية موضوع قوافل التسليح في إبراز دورها الهام من عدة جوانب، فهي التي كانت تغذي الثورة بالسلاح، ثم أنها ساهمت في استمرارها وعدم فشلها إثر غلق الحدود بالأسلاك الشائكة والمكهربة. فحملت على عاتقها مهمة إدخال السلاح والعتاد ونقل الجرحى للعلاج، وبالخصوص في الفترات التي عرف فيها السلاح تراكما خارج الحدود الوطنية بسبب صعوبة إيصاله إلى ميدان المعركة بفعل الحواجز الاستعمارية المختلفة، فهذه القوافل ركبت المخاطر وتحدت الصعاب وقامت بمهامها ودفعت مقابل ذلك وفي كثير من الأحيان تضحيات جسام.
أما دوافع اختيار هذا الموضوع فترجع أساسا إلى الرغبة في الاطلاع والبحث عن طبيعة هذه المهام الشاقة لهذه القوافل ومدى إرادة و عزيمة أفرادها في رفع التحدي لإيصال السلاح إلى مقصده. وكذلك رغبة منا في المساهمة ولو بجزء بسيط في إثراء هذا الموضوع و تدعيم البحث التاريخي المتعلق بالثورة التحريرية.
ورغم أننا لم نجد خلال بحثنا دراسات سابقة تعرضت إلى تضحيات هذه القوافل، إلا أننا حاولنا جمع ما أمكننا من معلومات متناثرة من هنا وهناك وبالخصوص الشهادات الحية للمجاهدين.

ولهذا ونظرا لتشعب الموضوع واتساعه، فان حدود الدراسة تقتصر على قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية بالتطرق إلى جانب من بطولاتها وتضحياتها فوق تراب الولاية الثانية التاريخية (الشمال القسنطيني) دون التطرق إلى غيرها من المناطق متمنين أن تكون موضوعا لدراسات أخرى.

إن الإشكالية التي يطرحها هذا الموضوع هي ما مدى إسهام قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة في إمداد الثورة بالسلاح؟ وهذه الإشكالية تتفرع عنها عدة تساؤلات فرعية وهي كيف تم إعداد هذه القوافل وتنظيمها وتحديد مسارها و اتصالاتها؟ وكيف كانت تتصدى وتواجه الحواجز الاستعمارية؟ ولن تكتمل الإجابة عن هذه الأسئلة إلا بالإجابة أيضا على تساؤلات أخرى وهي كيف واجهت السلطات الاستعمارية عمليات إمداد الثورة بالسلاح؟ وما هي إستراتيجية قادة الثورة في مواجهة هذه السياسة؟ وما مدى نجاحها في ذلك؟

وتماشيا مع مقتضيات الموضوع وطبيعته، فإننا اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي في انجازه من خلال استغلال المعلومات المتوفرة في هذا المجال وتحليلها و التعليق عليها.
ولغياب مراجع متخصصة أو مادة مصدرية كافية، تتناول قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية بشكل مباشر، فإننا اعتمدنا على بعض الكتب التي تشير إلى قوافل السلاح بصفة عامة أو بصفة عرضية ، كما اعتمدنا على

بعض المذكرات الشخصية وبعض الشهادات المنشورة في الصحافة الوطنية التي تهم موضوعنا، وأيضا الشهادات التي استقيناها بأنفسنا من مجاهدين شهود عيان.

ومن بين المراجع الهامة التي أعانتنا في هذا البحث « اعمال الملتقى الوطني حول الثورة الجزائرية واشكالية التسليح بين الطموح والواقع المنظم يومي 14 و 15 فيفري 2018» والتي نشرتها جامعة المسيلة سنة 2018 على شكل كتاب، بالاضافة الى بعض الكتب العامة التي احتوت على فقرات تشير فيها الى قوافل التسليح بشكل عام.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة و التساؤلات الفرعية المذكورة، فإننا قسمنا هذه الورقة البحثية المتواضعة إلى ثلاثة عناصر أساسية ويتضمن كل عنصر عدة فقرات فرعية حسب الحاجة، ويكون ذلك من خلال التطرق إلى التذكير بتسليح الثورة عموما وذلك بمعرفة المعوقات والصعوبات التي واجهت الثورة في التزود بالسلاح ومعرفة السياسة الفرنسية التي طبقتها لمنع دخول السلاح إلى الجزائر وكذا التعرف على إستراتيجية الثورة في مواجهة هذه السياسة. ثم التطرق إلى قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية من حيث الإعداد لها وتنظيمها وحركتها الكثيفة والصعوبات والأخطار التي واجهتها. و كنموذج لتضحياتها اكتفينا بالتطرق إلى المعارك دون الاشتباكات التي خاضتها فوق إقليم الولاية الثانية التاريخية. (الشمال القسنطيني).

1 . تذكير بإشكالية تسليح الثورة:

قليلا ما تتعرض الدراسات التاريخية إلى قوافل التسليح بالرغم من أن هذه القوافل جزء لا يتجزأ من الثورة الجزائرية، إن لم نقل إنها هي شريان حياة الثورة، فلا يعقل أو يتصور في حرب وجود جندي بدون سلاح.

وقد طرح مشكل تسليح الثورة خلال انعقاد اجتماع مجموعة الـ 22 قبل اندلا ع الثورة، وتمت معالجته مؤقتا، بان قامت الثورة في أيامها الأولى بالاعتماد على الأسلحة التقليدية وما تم تخزينه من بقايا سلاح الحرب العالمية الثانية، ثم بدأت الثورة بتسليح نفسها بنفسها من خلال الكمائن الناجحة التي يتم فيها غنم كميات معتبرة من الأسلحة. ففي هذا المجال خطب يوما الشهيد زيغود يوسف على جنوده قائلا: «إن سلاحكم على أكتاف وظهور عدوكم» (تابليت، 2011: 113).

وغداة توسع الثورة وانتشارها عبر كامل التراب الجزائري، وارتفع عدد الملتحقين بها أصبح من الضروري البحث عن طرق أخرى للتسليح، ومنها سفرية مصطفى بن بولعيد إلى المشرق في 24 جانفي 1955 الهادفة إلى البحث رفقة الوفد الخارجي عن مصادر لإمداد الثورة بالسلاح، هذه السفرية التي لم تكتمل بوقوع مصطفى بن بولعيد في الأسر. كما أن مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956، شجع في مقرراته على العمليات العسكرية الهادفة إلى غنم الأسلحة، وفي نفس الوقت اقر على أن لجنة التنسيق والتنفيذ هي وحدها المؤهلة مستقبلا لتوزيع الأسلحة على الولايات بطريقة عادلة على أن تراعى وضعية كل ولاية[1].

وتطبيقا لذلك أقرت لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام في أحد قراراتها في ديسمبر 1956، إنشاء القاعدة الشرقية، وأسندت قيادتها إلى العقيد عمارة العسكري المعروف باسم عمارة بوقلاز لتكون قاعدة خلفية للإمداد

1.انظر محاضر ومقررات مؤتمر الصومام، ص 23.

وقاعدة لتموين الثورة بالسلاح، وقد كان لها دور كبير في إيصال الأسلحة إلى الولايات وتامين سلامة مرور قوافل التسليح(تابليت، 2011: 114).

ومع التطورات التي عرفتها الثورة تم اللجوء إلى انتهاج إستراتيجية جديدة، حيث تقرر أن تقوم كل ولاية بجلب أسلحتها بنفسها من تونس أو من المغرب حسب الموقع الجغرافي لكل ولاية[2].

من ذلك أن تموين الولاية الأولى والثانية والثالثة يكون انطلاقا من مراكز جيش التحرير الوطني الموجودة في الحدود التونسية. أما الولاية الخامسة فيتم تمويلها من مراكز الحدود المغربية، والولاية الرابعة والسادسة ترك لهما الخيار بين ذلك حسب الظروف. ويكون هذا التموين عن طريق قوافل أو دوريات المجاهدين التي يختلف تعدادها من قافلة إلى أخرى، فتكلف بالتنقل إلى تونس أو المغرب لجلب الأسلحة إلى داخل الجزائر.

كما يمكن أن نجد حالات أخرى كأن تكلف مجموعات من المجاهدين على شكل قافلة بنقل وإيصال الأسلحة إلى داخل الجزائر ثم العودة إلى مكان تمركزها، وهي تلك القوافل التي أشرفت على تسييرها القاعدة الشرقية[3]، ومثالها قافلة الشهيد محمد لقبائلي وعمار شمام المدعو شكاي إلى الولاية الثالثة في شهر مارس 1957، وقافلة سليمان قنون المدعو سليمان لاسو التي أرسلها العقيد عميروش من تونس إلى الولاية الثالثة بتاريخ 05 جوان 1957، وقافلة الشهيد يوسف لطرش إلى الولاية الرابعة في نهاية شهر أوت1957(تابليت، 2011: 115).

وهذه القوافل هي التي أصطلح على تسميتها بقوافل التسليح «Les *convois d'acheminement d'armes* ».

لقد كان المجاهد الواحد في القافلة يحمل سلاحين وحوالي 400 إلى 500 خرطوشة، ويقطع المئات من الكيلومترات مشيا على الأقدام وغالبا ما يكون ليلا، ونادرا ما تستعمل الحيوانات في نقل الأسلحة خوفا من أعين العدو المنتشرة في كل مكان وخوفا من ملاحقاته.

وإضافة إلى التعب والجوع و المسافات الطويلة و صعوبة المسالك الجبلية وتضاريسها الصعبة وبالخصوص في فصل الشتاء(Amokrane, 2012:34-36)، فقد شكلت التدابير التي اتخذتها السلطات الاستعمارية لمنع دخول الأسلحة هاجسا آخر أمام هذه المهمة، وهو ما دعا قيادة الثورة إلى تحمل مسؤولياتها باتخاذ الإجراءات الملائمة والتصدي إلى هذه التدابير حتى لا تخمد الثورة وهو ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

2 . السياسة الفرنسية في مواجهة إمداد الثورة بالسلاح

تدخل السياسة الفرنسية في مواجهة إمداد الثورة بالسلاح، في إستراتيجيتها العامة الهادفة إلى القضاء على الثورة عموما أو ما كانت تسميه بالقضاء على حركة« التمرد ». ولهذا فقد لجأت إلى عدة أساليب لمنع تدفق الأسلحة إلى داخل الجزائر نستعرضها كما يلي:

2. ففي الجهة الشرقية للجزائر كانت تونس هي المحطة الأخيرة للأسلحة التي كانت تتدفّق من مصر عبر مرسى مطروح، لتنقل إلى ليبيا، و منها إلى الحدود التونسية الجزائرية عبر عدة طرق.

3.بلغ عدد القوافل التي سيرتها القاعدة الشرقية 30 قافلة تموين، أما التي استقبلتها و وفرت لها الحماية والإرشاد فهي أكثر من أن تحصى.

2 .1 . تنشيط حالة الطوارئ والحصار وتحديث الأساليب التقليدية

. الترويج للقضية الجزائرية على أنها شأنا داخليا، وأن الأمر يتعلق بخارجين عن القانون وقطاع الطرق، وبالتالي لجوء سلطاتها الإدارية و العسكرية إلى اتخاذ أي إجراء استثنائي بحجة استتباب الأمن والحفاظ على النظام العام.

. تجريد العائلات الجزائرية من أسلحتهم و التي اغلبها أسلحة صيد، ومنع تجارة الأسلحة بمختلف أنواعها.

. تكثيف عمليات التفتيش في مختلف الأماكن سواء في المدن أو البوادي بحجة البحث عن الأسلحة المخفية.

. تكثيف الحواجز البرية على الطرقات ومراقبة تنقل المواطنين والتوقيف العشوائي للمشتبهين.

. اتخاذ إجراءات صارمة في مراقبة السفن والموانئ لمنع دخول الأسلحة عن طريق البحر، وبالخصوص عقب توقيف باخرة «آتوس» المحملة بالأسلحة بتاريخ 16 أكتوبر 1956، والتي سيقت إلى ميناء الغزوات ثم ميناء المرسى الكبير بوهران (العسلي، 2010: 170).

بإصدار القانون المؤرخ في 21 أكتوبر 1956، الذي يهدف إلى منح صلاحيات واسعة للمكلفين بمهام التفتيش البحري، والذين أوقفوا تطبيقا لهذا القانون عدة بواخر في عرض البحر تحت شبهة أن هذه الأسلحة موجهة إلى جيش التحرير الوطني، ومنها سفينة «سلوفينيا» اليوغسلافية والتي كانت تحمل شحنة من الأسلحة في 18 جوان 1958 وتبديل مسارها إلى ميناء وهران[4]، و نفس الشيء وقع مع عدة سفن أخرى خضعت للتفتيش الدقيق.

. اختطاف الوفد الخارجي للثورة في 22 أكتوبر 1956، الذي من مهامه شراء وإمداد جيش التحرير الوطني بالسلاح.

. بناية أبراج المراقبة على القمم الجبلية والأماكن الحساسة بما في ذلك النقاط الحدودية التي يحتمل أن تكون معبرا لتحركات المجاهدين وتدعيمها بوسائل الاتصال والمراقبة عن بعد.

. تجنيد الكثير من الحركى و المتعاونين على مستوى الحدود لمراقبة بشكل مباشر أو غير مباشر لحركة اجتياز الحدود وإعلام السلطات الاستعمارية في الوقت المناسب.

. التتبع المستمر للقوافل الحاملة للسلاح ومباغتتها في الكمائن المناسبة، وأحيانا تتبعها إلى مقصدها النهائي بمركز القيادة قصد تدميرها كلية.

. إعلان حرب الحدود في جانفي 1958، وتسخير فيالق النخبة وكبار الضباط المحترفين للتدخل وضرب معاقل جيش التحرير الوطني أينما وجدوا وممارسة حق التتبع حتى خارج الحدود.

ورغم كل هذه الإمكانيات الضخمة المرصودة إلا أن عزيمة الثوار المجاهدين لم تثن وهو ما ترك السلطات الفرنسية إلى اعتماد سياسة أخرى وهي إقامة خطي موريس وشال الشائكين والمكهربين.

2 .2 إنشاء خطي موريس وشال

كان لاندلاع الثورة الجزائرية فضل في التعجيل باستقلال العديد من المستعمرات الفرنسية ومنها تونس والمغرب، وهدف فرنسا في ذلك هو التفرغ للشأن الجزائري والمحافظة على الجزائر كإقليم فرنسي بحكم موقعه الاستراتيجي.

وبحكم الروابط الاجتماعية والتاريخية التي تجمع بين دول شمال إفريقيا وبالخصوص دول المغرب العربي ومنها روابط الدين، فكان من الضروري أن تلتحم مع بعضها في التعاون من اجل التحرر من الاستعمار.

4 . .Le Monde (Journal) édition du 22 Janvier 1958

هذا التلاحم ترجم في فتح الحدود أمام الجزائريين من قبل تونس والمغرب عقب حصولهما على الاستقلال وسمح بإنشاء قواعد خلفية للثورة الجزائرية فوق إقليمهما، وانطلاقا من هذه القواعد كان يتم تزويد مجاهدي الداخل بالسلاح وغيره من المؤن الضرورية للحرب.

ولكون هذا التموين عرف نشاطا مكثفا لدخول الأسلحة وبالخصوص تلك المتطورة والأوتوماتيكية، فنتج عن ذلك أن تلقت الوحدات العسكرية الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وأمام هذه الوضعية التي أرقت الجهود الفرنسية في احتواء الثورة، فلم تجد كل الإجراءات المتخذة سابقا، مما تعين عليها البحث عن بدائل أخرى فاهتدت بعد دراسات للأوضاع إلى ضرورة عزل الداخل عن الخارج أي تطويق الإقليم الجزائري كلية بإقامة ما اصطلح على تسميته بخطي موريس وشال الشائكين والمكهربين.

2 .2 . خطي موريس وشال

أ. التعريف بخطي موريس وشال

ـ خط موريس :

تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى أندري موريس وزير الدفاع الفرنسي في حكومة بورجيس مونوري، الذي اقترح إنجاز خط مكهرب يفصل الجزائر عن الحدود الجزائرية التونسية، ويفصلها أيضا عن الحدود الغربية مع المغرب.

أنجز هذا الخط الذي يحمل اسم صاحب فكرة إنشائه، وأصبح مشغلا في جويلية 1957، ويمتد من الجهة الشرقية من عنابة مرورا بسوق أهراس إلى خارج تبسة بنواحي الكويف ونقرين على مسافة 450 كلم، أما من الجهة الغربية فيمتد من مدينة مرسى بن مهيدي إلى إيقلي جنوبا بالقرب من بشار على مسافة تقدر بـ 700 كلم[5].

ـ خط شال:

أطلق على هذا الخط اسم» شال» نسبة إلى الجنرال موريس شال قائد القوات الفرنسية في الجزائر في تلك الفترة، والذي شرع بدوره في إنجاز خط مكهرب ثاني خلف خط موريس لتدعيمه في الناحية الشرقية، في بداية سبتمبر 1959. يمتد هذا الخط من مدينة أم الطبول بالقالة شمالا إلى غاية مدينة تبسة جنوبا. أما المسافة التي تفصله مع خط موريس فتتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى حسب الطبيعة الجغرافية وتتراوح بين 09 و70 كلم (حروز، 2018: 281).

وهذه الخطوط الشائكة والمكهربة بأكثر من 500 فولط نهارا و5000 فولط ليلا، شيدت في أوقات قياسية وسخرت لها الإمكانيات الضخمة، كما أنها زودت بتقنيات متطورة حتى لا يتعثر تشغيلها بحيث احتوت على مفاصل كثيرة، تسمح بعدم امتداد العطل الجزئي إلى السير العادي لباقي الخط.

وقد أحيطت هذه الخطوط بحقول من الألغام المتفرعة حسب أهمية الأماكن، منها ألغام مضادة للأفراد وأخرى مضادة للجماعات إضافة إلى تشييد أبراج للمراقبة بالقرب منها وتدعيم كل هذا الجهاز برادارات لرصد كل تحرك

5. Reportage télévisé intitulé « La ligne Morice », INA , diffusé le 06 Mars 1959, sur le site : https://fresques.ina.fr/independances/fiche-media/Indepe00005/la-ligne-morice.html.

يستهدف هذه الخطوط في أية نقطة منها. وقد أقيمت طرقا بجانب هذه الخطوط لتمكين العربات والسيارات العسكرية من المراقبة والتدخل عند كل طارئ[6].

ب. أهداف إنشاء الخطوط المكهربة

أ . الأهداف العسكرية: أساسها توقيف قوافل السلاح، وعزل كل من القاعدتين الشرقية والغربية لمنع المجاهدين من الدخول والخروج، ومنعهم من الإمداد والتموين والعلاج ومن ثم خنق الثورة والقضاء عليها داخليا(حروز، 2018: 292).

ب . الأهداف السياسية: التطويق الإقليمي للجزائر لمنع التواصل والترابط المنعش للثورة وذلك بإسكات صوتها وامتداد صداها إلى الخارج هذا من جهة، ومن جهة أخرى فرض الرقابة على المحققين والصحفيين حتى لا تخرج الثورة عن نطاقها الداخلي، وبالتالي تبقى السلطات الفرنسية هي المحتكرة لوسائل الإعلام وتمارس التعتيم الإعلامي على أخبار الثورة، بل توجهها عن طريق الدعاية المغرضة كما تشاء ووفقا لمصالحها(بلعربي، 2018: 50).

ج . الأهداف الاقتصادية :حماية بعض المنشآت الاقتصادية التي كانت عرضة للتخريب من طرف كتائب المجاهدين على غرار المناجم والسكك الحديدية الحاملة للمواد المنجمية.

د. الأهداف النفسية :الحط من معنويات جيش التحرير الوطني والشعب، للشعور باستحالة اختراق هذه الخطوط وأن الثورة مطوقة وليس لها مصدر تموين وبالتالي فالقضاء عليها على وشك نهايته وكانت تتم هذه الدعاية عن طريق المصالح الإدارية المتخصصة[7].

2 .2 . 3:تأثير هذه الخطوط على إمداد الثورة بالسلاح

دخلت الثورة فعلا في مأزق خطير عند تشغيل خطي موريس وشال، فأصبحت كل حركة على الحدود الغربية أو الشرقية تعني المغامرة والموت، وبالخصوص عقب إعلانها مناطق محرمة أين يخضع التنقل فيها إلى الترخيص الإداري.

فمن جانب السكان المدنيين تعطل نشاطهم على الشريط الحدودي وخاصة النشاط التجاري، كما شعر السكان انه تم إبعادهم عن مأواهم وأراضيهم الفلاحية والرعوية التي يقتاتون منها وأصبحوا يخضعون إلى الرخص التي لا تمنح لهم إلا بشق الأنفس وبشروط تعزيزية، وأحيانا المساومة من اجل التعاون والتخابر.

أما من جانب جيش التحرير الوطني، فتبرز نجاعة هذه الخطوط في عدد أرواح المجاهدين الذين سقطوا وهم يحاولون اجتيازها. لقد حصد هذا الجهاز آلاف الأرواح من الشهداء، وتسبب أيضا في إعاقة الآلاف، فمنهم من فقد أطرافه ومنهم من فقد بصره، ومنهم من أصيب بإعاقة دائمة.

إن خير دليل على ذلك هو التقرير الذي وجهه العقيد عمر أو عمران مسؤول التسليح بقاعدة تونس، إلى لجنة التنسيق والتنفيذ في 08جويلية1958،والذي يقر فيه إن جيش التحرير الوطني أصيب بخسائر فادحة إذ فقد في ظرف شهرين فقط أكثر من ستة آلاف مجاهد، وأن تجديد أسلحة جنود الداخل وإمدادهم بالذخيرة أصبح صعباً بفعل الخطوط

6.Ibidem
7.J.ournal de Genève du 03 Juillet 1958

الشائكة والمكهربة[8]. إن هذا العدد يدل على أن الأمر لم يكن سهلا، وأن الخسارة التي لحقت أفراد جيش التحرير الوطني مرتفعة جدا وبالخصوص فهؤلاء الشهداء هم من خيرة المجاهدين، لان مهمة جلب الأسلحة من الخارج مهمة صعبة ولا يكلف بها إلا الأشداء والأكفاء.

كما أن الرائد مصطفى مراردة المعروف بمصطفى بن النوي وهو القائد الميداني للولاية الأولى في الفترة الممتدة بين أفريل 1959 و أفريل 1960، اعترف صراحة في إحدى مداخلاته بقوله « بإنشاء الخطوط المكهربة أصبحت بنادقنا في أيدينا عبارة عن عصي نستعملها لنرتكز عليها أثناء السير »[9]،وهي إشارة منه إلى عدم وجود الذخيرة بسبب الغلق التام للحدود.

ت. إستراتيجية الثورة في مواجهة الخطين المكهربين

انتقد البعض قيادة الثورة في كونها تراخت في التصدي لمنع بناء هذه الخطوط خلال مرحلة تشييدها، ولكن هناك من قدم تبريرات مفادها أن عملية التشييد كانت تحاط بإجراءات أمنية صارمة يستحيل اختراقها، كما أن الجزائريين المساهمين في تشييدها يوضعون كدروع لغيرهم، ومن ثم لا يمكن إجراء أية عملية تؤدي إلى هلاك الجزائريين، فتستخدمها الدعاية الاستعمارية ضد الثورة.

لكن ومهما يكن من تبادل لهذه الاتهامات فان قيادة الثورة حاولت بما أتيح لها من إمكانيات من التقليل من الآثار الوخيمة لهذين الخطين، وبالخصوص على الصعيدين العسكري والإعلامي.

- **على الصعيد العسكري:**

لم تبق وحدات جيش التحرير الوطني مكتوفة الأيدي بل حاولت اختراق الخطوط المكهربة مع تجنب المواقع الملغمة، فاستعملت الوسائل البسيطة المتاحة كالألواح الخشبية و المقصاة الحديدية و بعض الأجهزة الخاصة بالعمل في المجال الكهربائي، أو عن طريق الحفر تحت الخطوط و هذه عملية تتطلّب سرعة التنفيذ وعواقبها محفوفة بالمخاطر باعتبار أن دوريات المراقبة لا تنقطع ليلا و نهارا (كافي، 1999: 221)، و لئن نجحت بعض الأفواج في اختراق هذه الأسلاك فان الكثير منها تفحمت أجسادهم الطاهرة.كما عملت القيادة على جمع كل المعلومات المتعلقة بهذه الخطوط وذلك بوضع مخططات وخرائط لمواقعها تتضمن مواقع أبراج المراقبة والمراكز العسكرية ومراكز الحواجز وتضاريسها وغيرها لتسهيل عمليات تخريبها.

ثم تطورت هذه الأساليب إلى استخدام المتفجرات عن طريق حشو أنابيب حديدية تعرف باسم البانقالور«Bangalor»بمواد متفجرة ويتم تفجيرها تحت أرضية الأسلاك، وأسندت هذه المهمة لفرق تقنية متخصصة في عبور الأسلاك وتفكيك الألغام تم تكوينها لهذا الغرض(Belahsen, 2012 : 9) .

كما أن وحدات جيش التحرير المتمركزة بالحدود كانت تقوم بإزعاج مستمر للمراكز الفرنسية، حيث يتم توزيع أفواج قليلة العدد على مسافات متباعدة بينها، فتطلق عدة رصاصات في نقاط مختلفة من الخط المكهرب مما يوحي للعدو

8. جمال بلفردي، هيكلة وتنظيم جيش التحرير الوطني على الحدود الشرقية والغربية 1962-1958،رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص66.

9.حصة تلفزيونية من سلسلة " الملفات الكبرى لاتفاقيات ايفيان "، تقديم وإخراج جلول حايا، سنة 1992.

انه هجوم شامل فيقوم بإطلاق نيران بطارياته ومدافعه بطريقة عشوائية طوال الليل وهي طريقة لتجنيب العدو خسائر في الذخيرة بدون جدوى[10].

وأيضا لجأ جيش التحرير إلى تنظيم العديد من الهجومات الشاملة على المراكز العسكرية الحدودية ومثالها الهجوم التاريخي على مركز عين الزانة القريب من سوق أهراس ليلة 14 جويلية 1959 بقيادة الرائد عبد الرحمان بن سالم مسؤول المنطقة الشمالية حيث نال هذا الهجوم صدى إعلاميا كبيرا ورفع من معنويات المجاهدين[11].

وكتحدي لسياسة التطويق، لجأت القيادة إلى فتح جبهة جديدة في أقصى الجنوب الجزائري وهي جبهة مالي، وكانت تعتزم إدخال السلاح من هناك أيضا.

ومن التدابير التي اتخذها قادة جيش التحرير الوطني في الداخل لمواجهة ندرة الذخيرة نتيجة لتطويق الحدود، ولإبقاء استمرار صدى الثورة هي نقل الثورة من الجبال إلى المدن عن طريق تنشيط العمل الفدائي حتى لا يقال إن الثورة انتهت، وهو ما صرح به الرائد مراردة في إحدى الحصص التلفزيونية[12].

- **على الصعيد الإعلامي**

أما على الصعيد الإعلامي فقد انتهج قادة جيش التحرير الوطني إستراتيجية إعلامية مضادة للإعلام الفرنسي الذي كان يروج لاستحالة اختراق الخطوط المكهربة والشائكة وذلك بـ:

. توزيع مناشير مكثفة على السكان لتوعيتهم بأن سياسة فرنسا لعزل الثورة مآلها الفشل وأن جيش التحرير سيتحداها.

. نشر مقالات دعائية مضادة لمنشورات العدو، في الجرائد وبالخصوص في جريدة المجاهد لسان حال الثورة.

. بث تصريحات وبيانات حربية وحصص إذاعية مضادة للدعاية الاستعمارية.

. إعلام الرأي العام العالمي والوطني بجهود جيش التحرير الوطني في تخريب هذه الخطوط، ومنها التقاط صور لبعض قادة الثورة وهم يحملون كومة من الأسلاك التي تم جلبها أثناء هجوم على هذه الخطوط[13].

3: قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية

نتطرق في هذا العنصر إلى التعريف بالموقع الجغرافي للولاية الثانية ثم نعرج على نشاط قوافل التسليح بها.

3 .1 . الموقع الجغرافي للولاية الثالثة

يرجع إنشاء المناطق، والتي سميت بـ» الولايات »بعد مؤتمر الصومام، وتحديد حدودها إلى مجموعة الستة التي اتخذت هذا القرار في اجتماع لها في شهر أكتوبر1954، بمنزل المناضل بوقشورة مراد، فخلال هذا الاجتماع تم تقسيم القطر الجزائري إلى خمسة مناطق، و عين على راس كل منطقة قائدا لها.

10.Derradji Salah, Le commandant Abderrahmane Bensalem, le lion des frontières, revue Memoria, p 44

11. Ibidem,

12. حصة تلفزية من سلسلة " الملفات الكبرى لاتفاقيات ايفيان "، تقديم وإخراج جلول حايا، سنة 1992.

13. مثلما توضحه إحدى الصور المنتشرة لكريم بلقاسم ولخضر بن طوبال ومجموعة من القادة والجنود على مستوى الحدود وهم يتفحصون تلك الأسلاك التي تم جلبها من أحد الخطوط عقب تحطيم جزء منه.

وهذه المناطق هي: المنطقة الأولى أوراس النمامشة وقائدها مصطفى بن بولعيد، المنطقة الثانية الشمال القسنطيني وقائدها ديدوش مراد، المنطقة الثالثة القبائل وقائدها كريم بلقاسم، المنطقة الرابعة الجزائر وعلى رأسها رابح بيطاط وأخيرا المنطقة الخامسة القطاع الوهراني وقائدها العربي بن مهيدي (كشيدة، 2003: 100).

أما الولاية السادسة فتم إنشاؤها في مؤتمر الصومام بتاريخ 20 أوت 1956، وأسندت قيادتها إلى العقيد علي ملاح المعروف باسم سي الشريف.

وهذا التقسيم له دور هام من حيث تكفل كل منطقة داخل إقليمها بالتنظيم العام وبالخصوص تقسيمه إلى نواحي وقسمات لترتيب النشاط الثوري.

يتكون إقليم الولاية الثالثة من جبال جرجرة وحوض وادي الصومام كمركز رئيسي، ويمتد ليشمل جبال البيبان والجزء الغربي من جبال البابور وجزء من السهول العليا لسطيف وجزء من هضابها الشرقية إضافة إلى جنوب وغرب جبال الحضنة (بوعزيز، 2004: 15).

أما بالنسبة لموقعها مع الولايات التاريخية الأخرى، فهي تحتل موقعا هاما كونه تتوسط الإقليم الوطني ولها حدود مباشرة مع أربع ولايات، فتحدها الولاية الثانية من الناحية الشرقية بداية من سوق الاثنين على البحر المتوسط إلى سطيف عبر خراطة، والولاية الأولى من سطيف إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة جنوبا. أما من الناحية الجنوبية فتحدها الولاية الأولى وجزء من الولاية السادسة، أما من الناحية الغربية فتحدها الولاية الرابعة من زموري على البحر شمالا إلى بوسعادة جنوبا عبر الأخضرية والبويرة وسيدي عيسى وعين الحجل. أما اليوم فهذا الإقليم يتوزع على ولايتي بجاية وتيزي وزو وأجزاء من ولايات البويرة، بومرداس، سطيف، برج بوعريريج، والمسيلة.

ولكون مقر الهيئات القيادية للثورة موجودة بتونس، وجبت الإشارة أن الولاية الثالثة تبعد عنها بأكثر من 500 كلم.

تتميز الولاية الثالثة بتضاريسها الوعرة، والتي اغلبها جبالا، تكسوها الأشجار الكثيفة والمتنوعة، ومنها جبال معاتقة والبابور وسيدي على بوناب وجرجرة التي توجد بها أعلى قمة جبلية في ناحية التل المسماة باسم قمة لالة خديجة التي يبلغ ارتفاعها 2308 مترا(المدني، 1948: 15- 16).

وقد تعايش السكان مع هذه التضاريس الصعبة، فألفوا بها وأصبحت الحياة القاسية جزءا من حياتهم العادية، ولهذا كانت معقلا من معاقل الثورة، وسدا منيعا في وجه قوات الجيش الفرنسي الذي صعب عليه اقتحامها، وهو ما دعاه في غالب الأحيان إلى اللجوء إلى اعتبار الكثير من الأماكن وتصنيفها ضمن المناطق المحرمة ومن ثم استعمال الطرق الجبانة والمحرمة بحرق الغابات وقنبلة المشاتي والمداشر بطريقة عشوائية، مستعملا قنابل النابالم والغازات السامة التي تأتي على الأخضر واليابس بما في ذلك الحيوانات بكل أصنافها.

3 .2 . النشاط الكثيف لقوافل التسليح في الولاية الثالثة

لا ينكر إلا جاحدا أن دوريات وقوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية قد ارتوت من دمائها جميع ارضي الولايات التاريخية، واختلطت دماء الأشقاء مع بعضها البعض، فعلى سبيل المثال المعارك التي شاركت فيها هذه القوافل

في نواحي تبسة سنة 1957، جبل التلات . فرحة . في سريانة بولاية باتنة في اوت 1957[14]، جبل بوشقوف بولاية قالمة في سنة 1958(لتيم، 2018: 13)، ومعركة سوق أهراس في سنة 1958(Amokrane, 2012: 30) .

ولكون الولاية الثالثة عبر كامل مناطقها، تعرف نشاطات مكثفة للعمليات العسكرية التي يقوم بها جنود جيش التحرير الوطني، فإنها بدون شك تكون في حاجة ماسة إلى السلاح وهو ما يبرر الحركة الدؤوبة لقوافل التسليح، ولعل هذه الولاية هي الأكثر تضحية من غيرها بهذه القوافل، لكون مسار هذه القوافل إلى تونس يستغرق زمنا طويلا لبعد المسافة التي تفوق 500 كلم، وهو ما يعرضها للوقوع في الكمائن، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها لان مرحلة الذهاب لا تكون فيها مسلحة إلا بأسلحة خفيفة فقط.

ولعل أحسن مثال على ذلك، شهادة المجاهد مقران بن يوسف من تيزي وزو الذي أدلى بتصريح لوكالة الأنباء الجزائرية، وهو من أفراد إحدى القوافل المكلفة بجلب السلاح من تونس في شتاء سنة 1958، فيقول بحسرة كبيرة من التأثر:

> « انطلقنا بـ 150 مجاهدا و عدنا بـ 12 مجاهدا، لقد استغرقت رحلتنا 108 يوما، لقد سقط زملائنا تحت نيران العدو و تحت القصف و تحت الألغام المضادة للأفراد، لقد كنا نخسر من 05 إلى 10 مجاهدين عند كل اشتباك. ففي ناحية سكيكدة قصفتنا الطائرات ففقدنا 12 أو 13 شهيدا، وما إن وصلنا إلى جبل إيدوغ بعنابة حتى أصبح عددنا 70 مجاهدا من أصل 150 انطلقوا من جبال تيزي وزو، لنفقد أيضا مجموعة أخرى في هذا الجبل. رغم ذلك واصلنا المسير وعند وصولنا إلى الخطوط المكهربة كنا 40 مجاهدا، فحصدت هي الأخرى أرواحا جديدة. وعند خروجنا من تونس لم نكن إلا 17 مجاهدا وصل منهم إلى الولاية الثالثة 12 مجاهدا يحمل كل واحد سلاحين. ورغم هذه المحن والأخطار فان ذلك لم يثن من عزيمتنا ولم يؤثر على شجاعتنا، لقد كنا متطوعين للموت من اجل تحرير الجزائر من نير الاستعمار15 ».

3 .3 . إعداد القوافل وتنظيمها

تعتبر مهام قافلة السلاح من المهام الصعبة والهامة، ولهذا فإنها تخضع إلى تنظيم وإجراءات محكمة. من ذلك أن إرسال قافلة ما في مهمة لجلب السلاح يكون عن طريق قرار يتخذه قائد الولاية مع نوابه ومساعديه بعد اتصالات وموافقة القيادة في قاعدة جيش التحرير بتونس[16].

بعد ذلك يصدر الأمر من مجلس الولاية إلى قائد المنطقة المعنية الذي يمكن له أن يوكل هذه المهمة إلى المسؤول العسكري الذي يقوم بالاتصال بمسؤولي النواحي لتعيين قائد للقافلة بمساعد واحد أو أكثر وتحضير القائمة النهائية المشكلة لها والتي يختلف تعدادها من قافلة إلى أخرى، تبعا للظروف ولعدد ونوعية الأسلحة المقرر جلبها. يمكن للقافلة أن تصطحب معها أفرادا محولين إلى تونس أو جرحى بغرض العلاج في المستشفيات التونسية، ويمكن لها أن تستعين

14. كانت هذه القافلة التابعة للولاية الثالثة، التي استشهد منها 28 شهيدا، متجهة الى تونس بصحبة مجاهدين من الولاية الأولى يقودهم الشهيد بوحا حرسوس وهو أحد قدماء الحركة الوطنية ومن رفقاء الشهيد مصطفى بن بولعيد ومن مفجري الثورة ليلة أول نوفمبر بباتنة، وتوجد أضرحتهم حاليا بمقبرة الشهداء ببلدية سريانة بولاية باتنة.

15. https://www.aps.dz/regions/135707-revolution-algerienne-compagnie-d-acheminement-d-armes-ou-les-volontaires-de-la-mort

16.ومثالها لجنة العمليات العسكرية للشرق (COM Est)بعد تأسيسها سنة 1958.

بدليل أو أكثر من العارفين بالمسالك وبالخصوص الجبلية، لكون تنقل القافلة لا يكون إلا ليلا تجنبا لاكتشافها من طرف العدو أو وقوعها في كمائنه[17].

يحضر أفراد القافلة عدتهم السفرية والتي غالبا ما تكون متواضعة، وتمنح لهم رخص التنقل والسماح بالمرور المشار فيها إلى وجوب تقديم المساعدة لحامل ذلك الترخيص.

تنطلق القافلة في رحلتها بعد توديع المجاهدين لبعضهم البعض. ويحاط مسؤول المنطقة أو الناحية للولاية المجاورة التي ستعبرها القافلة علما بهذا العبور، لأخذ احتياطاته وما يفرضه عليه واجبه في مثل هذه الحالات.

تتكفل الناحية المستقبلة للقافلة بتامين مسارها إلى غاية خروجها من إقليمها، وأحيانا إلى غاية دخول إقليم منطقة أخرى، وهكذا إلى غاية الوصول إلى قاعدة التسليح. وتتبع نفس القواعد عند عودة القافلة وخروجها من تونس[18].

أما تاريخ الرحلة ومسلكها فيتم اختيارهما تبعا للظروف الملائمة وغالبا ما تتحكم فيها الظروف الأمنية حتى لا يجر بالقافلة إلى الهلاك، من ذلك أن لقوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة مسارات متعددة وليست ثابتة، فقد تغير القافلة مسارها عند كل ظرف طارئ كوجود تمشيط أو معركة أو تفتيش في الأماكن التي ستعبرها.

ومن بين مسالك هذه القوافل والتي اتخذوها طريقا من وإلى تونس يمكن أن نذكر المسالك الجبلية عبر المناطق التالية:

- الولاية الثالثة (بجاية)، جيجل (الميلية، السطارة)، سكيكدة (القل، حجر مفروش، الحروش، زردازة)، قالمة (هوارة الدباغ الركنية)، سوق اهراس ثم الحدود التونسية.
- الولاية الثالثة، سطيف (سرج الغول، عين الكبيرة)، باتنة (أولاد سلطان، مروانة، حيدوسة، وستيلي، بوعريف) خنشلة (بوحمامة، شلية)، عين البيضاء (بوتخمة، المسلولة، مزوزية)، تبسة (الماء لبيض) الحدود التونسية[19].

و لتبيان نشاط قوافل التسليح و تكافل المجاهدين فيما بينهم، يمكن أن نورد مثالا حيا على ذلك، ففي وثيقة أرشيفية عبارة عن مذكرة عمل *Note de service* مؤرخة في 20 أوت 1957[20] أصدرها الشهيد حيحي المكي قائد المنطقة الأولى بالولاية الأولى، إلى كافة مجاهديه أعطى من خلالها تعليمات صارمة بضرورة التكفل التام بجميع القوافل التي تعبر المنطقة الأولى، فطلب منهم أن يكونوا مثالا لسمات الوحدة و الأخوة السائدة وسط المجاهدين، كما طلب منهم ضرورة توفير المؤونة اللازمة و أن يسهروا على أمنهم و راحتهم بتخصيص فرقة لذلك مدعمة بدليل *Un guide* يعرف جيدا المسالك الجبلية و مسالك المرور، و ذلك طيلة تواجدهم على كامل تراب المنطقة حتى يمروا بسلام، و إلى غاية أن تتكفل بهم المنطقة الموالية لرحلتهم. وتطبيقا لهذه التعليمات تؤكد إحدى وثائق الشهيد احمد إمرزوقن

17.شهادة المجاهد أيت احمد واعلي (عضو في أمانة مركز القيادة للولاية الثالثة)، أخذتها منه بتاريخ 03 جويلية 2022 بجامعة بجاية. وتتوافق هذه الشهادة مع بعض الوثائق الأرشيفية الفرنسية التي في حوزتنا.

18.شهادة المجاهد ايت احمد واعلي، نفس الشهادة السابقة.

19.شهادة المجاهد ايت احمد واعلي، نفس الشهادة السابقة.

20.تقارير الشهيد حيحي المكي، العلبة الأرشيفية رقم FR ANOM 93201/31.

المدعو سي احمد الجدارمي[21]وهو أحد قادة الكتائب في الناحية الأولى من المنطقة الأولى بالولاية الأولى، والمكلف بأمن قوافل ودوريات التسليح، انه خلال الفترة الممتدة من 08 نوفمبر 1957 إلى 13 فيفري 1958، تكفل بأكثر من 1687 مجاهدا من الولاية الثالثة والرابعة عبروا قطاع عملياته ذهابا فقط، دون إحصاء للقادمين أو العائدين من تونس[22].

فإذا كان هذا التقرير يعبر على العلاقات الإنسانية والأخوة والتلاحم التي تربط مختلف مجاهدي ثورتنا المباركة، فانه أيضا مثال حي على النشاط الكثيف لهذه القوافل.

وقد أشاد المجاهد المرحوم عبد الحفيظ أمقران (ضابط جيش التحرير الوطني في الولاية الثالثة ووزير سابق) في مذكراته، بهذه الأخوة و**ما** بذل من مجهودات في مساعدة الدوريات العابرة لهذه المنطقة وتامين مسارها والتكفل بتموينها(أمقران، 2012: 71).

3 .4: نماذج من المعارك التي خاضتها قوافل تسليح الولاية الثالثة فوق إقليم الولاية الثانية

سأتعرض في هذه الفقرات إلى جانب من تضحيات قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية فوق تراب الولاية الثانية التاريخية (الشمال القسنطيني) كنماذج، واقتصر على تناول المعارك فقط دون التطرق إلى الاشتباكات والكمائن التي وقعت فيها هذه القوافل لاتساع الموضوع، على أن أتناول معركة سيدي سالم بشيء من التفصيل.

أ. معركة عين القصب في شهر ديسمبر 1957

وقعت هذه المعركة في الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر 1957 في عدة نقاط وأماكن من القسم الثاني من الناحية الثانية التابعة للمنطقة الثالثة من الولاية الثانية، غير أن أعنف عملياتها جرت في عين لقصب ومليلة، لهذا سميت بمعركة عين لقصب وتعرف أيضا عند البعض بمعركة مليلة، مكانها يبعد بحوالي 15 كلم من بلدية الركنية بقالمة وحوالي 20 كلم عن بلدية عزابة بسكيكدة.

هذه المعركة امتدت على مساحة تقدر بحوالي 20 إلى 30 كلم^{2}ودامت 7 أيام متقطعة، كانت القيادة فيها تحت إشراف على منجلي المسؤول العسكري للمنطقة ونائبه الطاهر جواد وشاركت فيها مجموعة من القيادات بأفواجها وفصائلها.

وقد صادف وقوع هذه المعركة مرور قافلة للسلاح تابعة للولاية الثالثة قادمة من تونس ومحملة بالسلاح.

فيذكر المجاهدون أن المرحوم علي منجلي رفض في البداية مشاركة قافلة الولاية الثالثة في هذه المعركة بحكم أنهم لا يعرفون المنطقة جيدا، ثم أن تعب السفر قد نال منهم كثيرا، إضافة إلى واجب المحافظة على تامين السلاح وإيصاله إلى مقصده،

21. الشهيد احمد امرزوقن المدعو سي احمد الجدارمي من مواليد 17 جويلية 1932 بتيزي وزو، تجند في صفوف الجندرمة الفرنسية و عين في مدينة بسكرة ثم في مدينة سريانة بنواحي باتنة ، رتب عملية فراره مع مسؤولي الناحية الأولى بالمنطقة الأولى في ليلة 04 إلى 05 أفريل 1957، فتم اقتحام الثكنة التي يعمل بها و تم القضاء على أربعة من أفراد الجندرمة الفرنسيين الذين ارهبوا و أرعبوا الأهالي، و التحق بجيش التحرير رفقة المقتحمين و هم محملين بكية معتبرة من الأسلحة الأوتوماتكية و القنابل اليدوية و الذخيرة و قوائم الخونة الذين كانوا يتعاملون مع الاستعمار. سقط شهيدا في معركة فوغالة بجبل وستيلي في 23 فيفري 1958.

22. تقارير الشهيد سي احمد الجدارمي، نفس العلبة الأرشيفية رقم FR ANOM 93201/31.

غير أن إصرار قائد القافلة على المشاركة وقوله:« أن ارض الجزائر كلها تصلح للجهاد» ، جعل على منجلي يتراجع عن قراره ويسمح لهم بدخول المعركة (جماعي، 2004: 249).

وفي اليوم الخامس منها شن العدو هجوما شاملا على مختلف أمكنة المعركة بحشود هائلة لقواته ومعززة بسلاح المدفعية والطيران الذي استخدم النبالم في قصفه لمواقع المجاهدين.

ومما يذكر أن جنود كتيبة الولاية الثالثة قد اظهروا شجاعة باهرة في الإقدام والمواجهة، وبالخصوص أنهم يتوفرون على أسلحة حربية أوتوماتيكية، من ذلك أن 18 مجاهدا منهم سقطوا الواحد تلو الأخر إثر تناوبهم على الرماية بقطعة جماعية من نوع لود اشكيش، أما المجاهد الـ 19 فقد أصيب بحروق في يده نتيجة ارتفاع حرارة هذا السلاح جراء الاستعمال المطول له (جماعي، 2004: 249).

وتم انسحاب المجاهدين من هذه المعركة بأمر من على منجلي نظرا لوصول إمدادات إضافية وكثيفة للجيش الفرنسي.

و حسب شهادة المجاهد صالح بن عيش المدعو عمار و المجاهد بونور زيدان المدعو محمد و هما من الأحياء الذين حضروا هذه المعركة فان اغلب جنود القافلة نالوا الشهادة في هذه المعركة[23]،و في غياب مصادر أو مراجع موثقة فانه يصعب التحديد الدقيق لعدد شهداء هذه القافلة، بينما تشير مصادر أخرى إضافة إلى ذلك أن حصيلة هذه المعركة 57 شهيدا بين مجاهد و مواطن من الولاية الثانية فقط دون ذكر عدد شهداء القافلة، و تم القضاء على الكثير من عساكر العدو و إسقاط طائرة استكشافية (جماعي، 2004: 251).

ب. معركة جبل السطيحة ببلدية بوشطاطة ولاية سكيكدة أيام 15 ،16 ،17 مارس 1958.

وقعت هذه المعركة في المكان المسمى دوار عرب السطيحة، وهذا الدوار تابع في ذلك الوقت إلى بلدية مجاز الدشيش(*Robertville*) ،ويتبع حاليا بلدية بوشطاطة في الجنوب الشرقي من ولاية سكيكدة.

وترجع أسباب وقوع هذه المعركة أن قافلة لجلب السلاح تابعة للولاية الثالثة التاريخية كانت قادمة من تونس تم اكتشافها في جبل السطيحة (مع العلم انه اختلفت الروايات حول الوسيلة التي علمت بها السلطات الاستعمارية بمرور هذه القافلة)، مما أدى إلى انتشار قوات الجيش الفرنسي وتطويق المنطقة قصد محاصرة القافلة.

اندلعت المعركة ظهيرة 15 مارس 1958 بعد تأكيد للمعلومات التي مفادها أن مجموعة من المجاهدين قد اجتازت واد الصفصاف وهي متجهة غربا.

القوات الفرنسية حشدت واستخدمت كل قواتها البرية والجوية التي قدمت من كل حدب وصوب من سكيكدة، قسنطينة، الحروش، سيدي مزغيش والقل وتولى قيادة هذه المعركة من الجانب الفرنسي العقيد شينيو مسؤول قطاع سان شارل (بلدية رمضان جمال حاليا) وفوج المظليين الأجانب *2eme REP* ويساعده الرائد ماسيلو مسؤول فيلق، والنقيب

23. شهادة المجاهد صالح بن عيش والمجاهد بونور زيدان محفوظة بالمتحف الجهوي للمجاهد بسكيكدة، بتاريخ 11 فيفري 2013.

كواكو مسؤول كتيبة فوج المظليين والملازم الأول جون قاسطو مسؤول فصيلة هجومية، بالإضافة إلى مجموعة من السنغاليين والحركى[24].

عرفت المعركة إنزال كبير للقوات المحمولة جوا واحتلت الأماكن الإستراتيجية وخاصة القمم المحيطة بالأماكن وأقامت طوقا حول المجاهدين وتم فتح نيران المدفعية تجاههم، غير أن المدفعية لم تجدي نفعا فتم اللجوء إلى استعمال الطيران والقصف الجوي واستخدام النبالم والغازات السامة (وهو ما تبينه إحدى الصور المنشورة) مما أدى إلى استشهاد كامل القافلة التي فضلت الاستشهاد على الاستسلام رغم عدم تكافؤ القوتين.

الحصيلة التي نشرتها القوات الفرنسية حول هذه المعركة التي انتهت يوم 17 مارس مساءا تشير إلى سقوط 80 شهيدا واسترجاع 60 قطعة أما من جانبهم فيحجمون عن ذكر الخسائر الحقيقية فيذكرون قتيلا واحدا وعدة جرحى لا غير.

أما من الجانب المحلي فيصف سكان دوار عرب السطيحة هول المعركة وقساوتها دون إعطاء تفاصيل حول مجرياتها بحكم أن مجاهدي الولاية الثانية لم يشاركوا فيها، باستثناء المجاهد عبد الله بوراوي عضو جيش التحرير الذي لا يزال على قيد الحياة، وهو احد الذين تصادف وجودهم في المكان في ذلك اليوم، فيقول أننا سمعنا أن قائد قافلة الولاية الثالثة يدعى ليوطنا محمد، وكان تعدادها حوالي 80 مجاهدا ينتمون كلهم إلى الولاية الثالثة[25]، وأنها أبيدت بأكملها نظرا لاستخدام النابالم و القصف الجوي المكثف، كما استشهد فيها احد المجاهدين من المنطقة بعد أسره هو الشهيد العربي مصيبح من الولاية الثانية[26].

وفي ختام هذه الفقرة نشير انه وبسبب عدم توثيق وقائع هذه المعركة في وقتها المناسب، فقد تعرضت إلى النسيان، وخاصة وأن مجاهدي الولاية الثانية لم يشاركوا فيها. ولهذا فقد ظل التاريخ الصحيح لوقوعها وحتى عدد شهدائها مجهولا، فكان يشار إلى تاريخ وقوعها بالقول في أواخر شهر مارس سنة 1958 دون تحديد لليوم بالضبط.

غير انه بظهور بعض المنشورات الفرنسية مؤخرا التي تطرقت إلى جانب من هذه المعركة ونشر العديد من الصور الخاصة بها، استغلها مدير المتحف الجهوي للمجاهد بسكيكدة السيد فاتح حموش وبعد تحليلها صرح لوكالة الأنباء الجزائرية بتأكيد تاريخ وقوعها أيام 15 . 16 و17 مارس 1958 واستشهاد أكثر من 80 شهيدا[27]. كما أن الاطلاع مستقبلا على تقارير هذه المعركة المحفوظة في الأرشيف الفرنسي قد يميط اللثام على الكثير من تفاصيلها.

24.مقتطفات من كتب المؤرخ الفرنسي جين بلازيك بعنوان Jean Balazuc: le 2° REP sur l'Arb Estahia (Algérie 1958) sur le site des anciens légionnaires voir: https://www.legionetrangere.fr/la-fsale/actualites-de-la-fsale/1918-jean-balazuc-le-2-rep-sur-l-arb-estahia-algerie-1958.html

للعلم أن الملازم الأول قاسطو جون ايفون قائد فصيلة هجومية و متخصص في استعمال الغازات السامة، قتل فيما بعد بحوالي أربعة أشهر من هذه المعركة مختنقا بالغازات السامة بتاريخ 13 جويلية 1958 لما اشرف على مهاجمة مجاهدين احتموا في مغارة لمكيمن بلدية عين العربي ولاية قالمة، هؤلاء المجاهدين استشهدوا جميعا حيث قدر عددهم بين 25 و 28 شهيد و لا زالت رفاتهم إلى اليوم بهذه المغارة ، و هذا الضابط له شقيق في الجيش الفرنسي هو قاسطو روني تابع لـ 1er REP قتل في ناحية الونشريس بالولاية الرابعة بتاريخ 21 ديسمبر 1958.

25. شهادة المجاهد بوراوي عبد الله، مقابلة معه بتاريخ 28 اكتوبر 2019.

26.المجاهد بوراوي عبد الله، نفس الشهادة السابقة.

27. انظر موقع وكالة الإنباء الجزائرية على الرابط:https://www.aps.dz/ar/regions/67425-2019-02-21-16-22-57 . مطوية المتحف الجهوي للمجاهد بسكيكدة، صادرة في 28 مارس 2022.

ت. معركة سيدي سالم بعنابة بتاريخ 24 جوان 1959

معركة سيدي سالم تسمى عند أهالي مدينة عنابة بـ « معركة لقبائل »، نظرا لان قافلة أو ما اصطلح على تسميته بكومندو حيدوش من الولاية الثالثة هو التي خاض رحاها دون مشاركة لجنود الولاية الثانية، المكان الذي وقعت به بالضبط يسمى« جنان التفاح » وهو عبارة عن مزرعة فلاحية يملكها المعمر الفرنسي كاليجة، وتقععلى ضفاف واد السيبوس على بعد 06 كيلومترات من وسط مدينة عنابة.

أسندت قيادة هذه القافلة إلى الشهيد الضابط الأول احمد امان ازوقاغن المدعو حيدوش والذي تطوع هو ورجاله للقيام بنقل شحنة من الأسلحة وأجهزة الاتصال اللاسلكي *ANGRC 9* إلى الولاية الثالثة، وهيمهمة خطيرة في ظل الغلق المحكم للحدود بالأسلاك الشائكة والمكهربة والمحاط بتجهيزات ومعدات المراقبة والألغام المضادة للأفراد، ناهيك عن دوريات الحراسة التي كانت تجوبه على امتداد الحدود.

افرد الرئيس السابق الشادلي بن جديد في مذكراته فقرة تكلم فيها عن هذا الكومندو تحت عنوان «النهاية المأسوية لكومندو حيدوش» يقول الشادلي بن جديد: «أن كريم بلقاسم أراد أنيحقق نصرا إعلاميا عندما يسمع زملاءه أن كتيبة عبرت خط موريس بعد زيارته للحدود ...وكنت أنا وعبد الرحمان بن سالم ضد إرسال هذه الكتيبة لخطورة الوضع في ذلك الحين، لكن في النهاية تقرر دخولها إلى الجزائر » (بن جديد، 2011: 137).

كما تطرق اللواء المتقاعد خالد نزار في مذكراته أيضا إلى كومندو حيدوش و وصف نهايته بالمأساة وأورد اسم حيدوش 22 مرة، وركز بالخصوص على الظروف التي تم فيها تقرير إدخال هذه القافلة إلى الجزائر، كما خصص حيزا واسعا للكلام على مشاق هذه السفرية الأليمة وأسباب اكتشاف العدو للقافلة – (Nezzar, 2017:115 129)،كونه واحدا من الذين شاركوا في تامين جزء من مسار هذه القافلة رفقة العديد من المسؤولين على غرار الضباط الشهيد حداد عبد النور والشهيد احمد ترخوش والمجاهد الفاضل بوطرفة، ومن جانب آخر أشاد بشجاعة و بطولة أفراد هذه القافلة في معركة سيدي سالم(Nezzar, 2017:128).

ويبدو من خلال ما ورد في المذكرات المذكورة أن عبور فرق التسليح في تلك الفترة كان أمرا صعبا، ويعرض حياة أفرادها إلى موت محقق، غير أن إصرار القيادة ممثلة في كريم بلقاسم ومحمدي السعيد انتهى إلى القرار النهائي بإرسال وإدخال هذه الكتيبة إلى الولاية الثالثة.

ألقى سي حيدوش خطابا حماسيا رائعا على مرافقيه في هذه القافلة، وشكرهم على تطوعهم ووفائهم لإخوانهم ومذكرا إياهم بالمهمة الصعبة التي تنتظرهم[28]، لتنطلق القافلة من مركز الزيتون بتونس الذي تلقت به تكوينا عسكريا.

28.جاء في خطاب سي حيدوش والذي نقله المجاهد جودي عتومي ونشره في جريدة الوطن بتاريخ 30 جوان 2018 ما يلي:

«Mes frères, le devoir nous appelle dans notre Wilaya. Lorsque nous sommes venus en Tunisie, nous avions pour mission de retourner avec des armes et du matériel destinés à nos frères dans les maquis.

Vous n'ignorez pas que cette mission est périlleuse et qu'il va y avoir des morts. Je ne saurais vous dire combien, ni qui sont-ils ? Pour ceux d'entre nous qui tomberont, l'Algérie leur sera éternellement reconnaissante ! Je tiens à vous remercier pour votre confiance et d'avoir accepté de m'accompagner dans ce périple.

ففي شهادة للمجاهد عاشور كنوني المدعو عمارة[29]الذي أشرف على تدريب وتكوين هذا الكومندو بصفته مدربا في هذا المركز فيقول:

« لقد جمعتني صداقة كبيرة مع رفيقي سي حيدوش في مركز الزيتون بتونس، و بالخصوص لما علمنا أننا نشترك في الفرار من صفوف الجيش الفرنسي، فهو فر من ثكنة بيزو و أنا فررت من ثكنة روندون المحاذية لها بوسط مدينة البليدة و التي كان احد المسؤولين فيها الرائد إيدير قبل التحاقه بالثورة. ليجمعنا القدر بالحدود التونسية سنة 1959 تحت مظلة الجهاد المقدس لتحرير الجزائر، ولكوني كنت احمل رتبة عريف وحاصل على خبرة في المجال العسكري ضمن المجموعة الأولى للقناصين الجزائريين وأتوفر على خبرة في مجال التدريب واستعمال السلاح، فعند دخولي إلى تونس تم تعييني مدربا بمركز الزيتون تحت الإشراف المباشر للرائد سي على منجلي، فأشرفت على تدريب أفراد هذه القافلة التي يتعدى عناصرها الـ 100 مجاهدا وكلهم من الولاية الثالثة، فتلقوا تدريبا نظريا وتطبيقيا على مختلف الأسلحة. وعند نهاية تكوينهم غادروا مركز الزيتون في اتجاه الولاية الثالثة وكلهم أمل وحنين وحماس في العودة إلى عرين القتال مع إخوانهم الذين عاهدوهم بالعودة إليهم وهم محملين بالأسلحة المختلفة. ولكن و للأسف فلم تكتمل رحلتهم. لقد تأثرنا كثيرا وصدمنا لما وصلتنا أخبار عن استشهادهم في معركة سيدي سالم بعنابة بعد أن اظهروا بطولة لا حدود لها وشجاعة نادرة في مواجهة الآلاف من قوات العدو. ولا زلت إلى يومنا هذا أتذكرهم وبالخصوص أنهم مدفونون بالبلدية التي أقيم بها، ولا زالت ذاكرتي تحتفظ بصورة سي حيدوش التي أهداني إياها وهو يهم بالعودة إلى ارض الوطن» .

وقد تكفل الرائد عبد الرحمان بن سالم مسؤول المنطقة الثانية بالقاعدة الشرقية آنذاك بتعيين فوج مرافق لهم متخصص في تمرير هذه القوافل و تأمين مسارها يرأسه المجاهد لزهر دعاس من الولاية الثانية(بن جديد، 2011: 137).

شهادات شهود العيان من كومندو سي حيدوش

لعل أهم الشهادات التي تم توثيقها حول كومندو حيدوش هي تلك الشهادات التي أدلى بها المجاهد المرحوم العربي علي[30]إلى جريدة لاديباش دو كابيلي *La Dépêche de Kabylie* بتاريخ12 جويلية 2012،وأيضا تلك الشهادات التي جمعها المجاهد المرحوم جودي عتومي[31] من أفواه بعض المجاهدين الناجين والذين وقعوا أسرى لدى الجيش

Je salue votre courage pour avoir été volontaires de la mort, sachant que vous n'ignorez pas le sens de votre engagement dans cette galère. Nous partons cet après-midi pour rejoindre le barrage électrifié à la tombée de la nuit. Je compte sur votre discipline et votre courage pour accomplir la mission qui nous est confiée. Je prie Dieu de nous prêter assistance et de nous conduire jusqu'à destination ».

29شهادة المجاهد عاشور كنوني، مقابلة شخصية معه في بيته ببلدية البوني بعنابة، بتاريخ 05 جوان 2022.

المجاهد عاشور كنوني من مواليد سنة 1934 بمدينة بن مهيدي ولاية الطارف، فر من الجيش الفرنسي لما أعيد تجنيده في إطار التعبئة العامة في 06 جوان 1957 والتحق مباشرة بالثورة بالولاية الثانية. عين بمركز التدريب بالزيتون بالحدود الشرقية إلى غاية الاستقلال، أين واصل العمل ضمن الجيش الوطني الشعبي إلى غاية تقاعده سنة 1989 برتبة رائد.

30. أصيب المجاهد علي العربي باختناق وأغمي عليه نتيجة الغازات فتم إلقاء القبض عليه ونقل إلى سجن القصبة بعنابة وأسعفه مجاهدان اثنان آخران ألقى عليهما القبض في معركة أخرى، حكم عليه بالإعدام وبعد محاولة فرار من السجن نقل إلى سجن سطيف وبعد تعفن جراحه تم تحويله إلى معتقل قصر الطير (قصر الأبطال حاليا)وبقي هناك إلى غاية الاستقلال.

31. المجاهد جودي عتومي لم يكن ضمن كومندو حيدوش ولم يشارك في المعركة، لكنه وثق لقافلة سي حيدوش بناء على تسجيل شهادات من أفواه المجاهدين المرافقين للقافلة والذين كتبت لهم الحياة بعد تلك المعركة.

الفرنسي، وهم عمار بناي، اغيل على بوجمعة والسعيد سخريو، ونشرها على شكل مقال في جزئين في جريدة الوطن بتاريخ 30 جوان و02 جويلية 2018.

وقد نقل هؤلاء المجاهدون شهاداتهم بكل صدق وإخلاص، بداية من تجميع أفراد القافلة بتونس مرورا بالصعوبات التي اعترضت الرحلة وبالخصوص اجتياز خطي شال وموريس ووصولا إلى خوض غمار معركة سيدي سالم على أبواب مدينة عنابة ووصف قساوتها وضراوتها.

تتوافق شهادات هؤلاء الشهود فيما تعرضت له من وقائع، وتختلف في بعض التفاصيل البسيطة كتعداد الكتيبة والتوقيت الزمني لنشوب العملية أو عدد الناجين الذين ألقى عليهم القبض، ففي هذه النقطة الأخيرة أورد المجاهد جودي عتومي أسماء سبعة (07) مجاهدين هم: عمار ازوقاغ، خلاف أولاد موسى، بوعواد احمد، ايغيل علي بوجمعة، عمار بناي، السعيد سخريو ودراجي احمد من برج بوعريريج ودون ذكر اسم المجاهد العربي علي، بينما هذا الأخير يصرح أن الناجين في هذه المعركة هم ثلاثة مجاهدين فقط هو واحد منهم [32].

يقول المجاهد المرحوم العربي علي وهو من دوار أيث ابراهيم بمشدالة، وأحد الناجين الذين كتبت لهم الحياة:

« بأمر من كريم بلقاسم و محمدي السعيد أعطيت لنا الأوامر نحن 85 مجاهد لنقل الأسلحة و ثلاثة أجهزة اتصال لاسلكي إلى الولاية الثالثة، ففي واد بوناموسة[33] عند اجتيازه باستعمال قاربين و نظرا لبزوغ الفجر، و كون الأرضية مكشوفة لم يتمكن إلا 34 مجاهدا من المرور أما البقية فعادوا أدراجهم إلى المكان الذي انطلقوا منه، و قد استطعنا أن نتفادى خمسة (05) كمائن، لكن للأسف وقعنا في السادس منها على ضفاف واد السيبوس بسيدي سالم على أبواب مدينة عنابة، فقد اختفى الدليل و تم اكتشاف القافلة و تمت محاصرتنا من كل الجهات، و حتى السد القريب من المنطقة تم فتحه و إطلاق مياهه بقوة لإغراقنا في الأوحال و الطين لمنع هروبنا و يسهل القبض علينا »[34].

وتجمع شهادات المجاهدين المذكورين أعلاه، انه في ظل هذه الظروف اتخذ سي حيدوش ومساعديه قرار المجابهة ومواجهة العدو وألا يستسلم أحدا حتى ولو نفذت الذخيرة.

كما تجمع هذه الشهادات على أن القوات الفرنسية سارعت إلى تطويق المكان بقوة هائلة من العساكر وبفيالق النخبة، وكانت تظن أنها ستقضي على أفراد القافلة في اللحظات الأولى، غير أن مقاومة المجاهدين واستماتتهم أفشلت كل محاولات الهجوم لكتائب العدو، مما اجبرها على تغيير الخطة وبالخصوص عند إلقاء القبض على المجاهد الشابي محمد أوعمار الذي يعتقد أن يكون قد صرح تحت التعذيب بمعلومات حول تسليح القافلة خلال الاستجواب[35].

أمام هذه الوضعية وإصرار المجاهدين على المقاومة وعدم تسليم أنفسهم، تم الاستنجاد بقوات إضافية مدعومة بالدبابات والمدفعية الثقيلة، غير أن هذا لم يكفي مما أدى إلى إعطاء الأوامر لتدخل الطيران عن طريق القصف الجوي واستعمال النبالم والغازات السامة، وما هي إلا لحظات حتى كانت سماء عنابة سوداء نتيجة الدخان الكثيف المتصاعد من ارض المعركة. وبالرغم من ذلك فقد تمكن المجاهدون من إلحاق خسائر بشرية هامة يجهل عددها بالضبط لان السلطات

32. اللواء خالد نزار أورد أن عدد الناجين هو ثلاثة دون ذكر أسماءهم.

33.المجاهد العربي علي أورد في كلامه " واد مجردة " والصحيح هو "واد بوناموسة «، انظر أيضا مذكرات خالد نزار، المرجع السابق، ص122.

34.La Dépêche de Kabylie (Journal)، du 12 Juillet 2012.

35. نفس المقال السابق الوارد في جريدة الوطن ليوم 02 جويلية 2018.

الفرنسية كانت دائما تتستر على عدد قتلاها، كما تم تحطيم دبابة وإسقاط ثلاث طائرات للعدو (طائرة استكشافية، وأخرى من نوعT6، وأخرى من نوع B26)، و لا تزال محركاتها وأجزاء منها معروضة في مكان المعركة إلى اليوم.
أما جنود القافلة وعلى رأسهم سي حميدوش فقد نالوا الشهادة جميعهم والسلاح بأيديهم، ونجا من هذه المعركة من ذكرناهم أعلاه الذين وقعوا أسرى لدى العدو.

وفي النصب التذكاري المخلد لهذه المعركة كتب أن عدد الشهداء هو 34 شهيدا، كما أورد المجاهد جودي عتومي في المقال المذكور، أن من ضمن الشهداء شهيدين برتبة مساعد من الولاية الثانية شاركا في هذه المعركة، فيما أوردت الصحافة الفرنسية أن عدد الشهداء هو 44 شهيدا وأسيرا واحدا، ومن جانب القوات الفرنسية ذكرت نفس الصحف أن عدد قتلى الجيش الفرنسي هو 6 قتلى و15 جريحا[36]. ويبدو أن هذه الأرقام غير صحيحة ولا تعبر إطلاقا عن الحقيقة، لكون الشهادات المتواترة في عنابة تؤكد أن شاحنات نقل القتلى وسيارات الإسعاف الكثيرة، ظلت على طول ذلك اليوم في تنقل مستمر بين مكان المعركة والمستشفى حتى ظن البعض انه هجوم كاسح للمجاهدين على مدينة عنابة، وهذا تعبير وصفي لشراسة المعركة وعنفها.

أما عن الكيفية التي علم بها الجيش الفرنسي بوجود هذه القافلة بناحية عنابة فقد تعددت الروايات، فذهب البعض إلى القول إن سبب ذلك هو وشاية ويقول البعض أن الكومندو تاه وسط المزارع بسبب تخلي الدليل عنهم، وذهب البعض الأخر إلى القول أن أحد عمال المزرعة هو من أوشى إلى صاحب المزرعة بوجود هذه القافلة والذي بادر في الإسراع لإعلام السلطات بذلك، إلى غير ذلك من الأقاويل والتحاليل والتي لم يؤكدها أحدب الحجة الدامغة والمقبولة.
ونفس الغموض هذا يستشف أيضا في مذكرات اللواء خالد نزار، الذي تطرق إلى هذه النقطة بإسهاب وبحث فيها مطولا، حيث عنون الفقرة التي تكلم فيها عن قافلة حيدوش بعنوان «خيانة مرشدي الطريق La *trahison des guides*»، ورغم انه لم يصل إلى نتيجة مؤكدة إلا انه يحمل المسؤولية للدليلين Les deux guidesلإخلالهما بمهامهم وتخليهم عن الكومندو فضيع مسلكه وتاه وسط تلك الحقول والمزارع(Nezzar, 2017:128) .

لكن في النهاية ومهما كانت صحة أو عدم صحة هذه الروايات فان الأكيد هو أن مجاهدي كومندو حيدوش قد اظهروا شجاعة نادرة فوهبوا حياتهم لأجل الوطن وخلدوا أسماءهم بحروف من ذهب، فتمكنوا من عبور خطي شال وموريس الجهنميين، وخاضوا معركة غير متكافئة تعد من كبريات المعارك التي لم يشهد لها مثيل في تلك المنطقة، وهم مجموعة صغيرة من المجاهدين في مواجهة الآلاف من عساكر الاحتلال المعززة بمختلف الآليات الحربية المتطورة.

يذكر المجاهد السعيد سخريو الناجي في هذه المعركة أن رفيقه الشهيد تمقالتي محمد ارزقي (من قرية تسنانت بازفون ولاية تيزي وزو) هشم الرصاص رجليه الاثنتين، فاخرج من جيبه صورة لابنته، وتمعنها للحظات بعد ذلك مزقها وتناول بندقيته الرشاشة واستمر في إطلاق النار إلا أن سقط شهيدا، إن هذا الموقف البطولي يؤكد مما لا مجال فيه للشك أن هذا المجاهد في هذا الوضع أدرك انه سيموت إن لم يسلم نفسه، ولكنه فضل أن يستشهد رفقة إخوانه فواصل إطلاق الرصاص على العدو حتى نال الشهادة[37].

36.L´Express, du 25 juin 1959 (Journal Suisse)

37. جريدة الوطن بتاريخ 02 جويلية 2018، المرجع السابق.

سكان عنابة الذين عايشوا ذلك اليوم لا يزالون يذكرون شراسة المعركة بنيرانها ودخانها الكثيف، ولا زالوا يذكرون أولئك الرجال الأشاوس الذين واجهوا في كبرياء قوى الطغيان والجبروت في يوم كامل من ذات يوم 24 جوان 1959.

متفرقات

- الشهيد البطل سي حيدوش رحمه الله من مواليد 11 أفريل 1932 بقرية ايبعزيزن بلدية ازفون ولاية تيزي وزو، جند إجباريا في الجيش الفرنسي في 30 ماي 1953، وعين في ثكنة بيزو بالبليدة ليفر منها بعد سنة واحدة، وظل مبحوثا عنه من قبل السلطات الاستعمارية. التحق بركب الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 بجانب أحد أفراد عائلته (خاله) المرحوم السعيد يازوران المدعو فريروش (عقيد جيش التحرير الوطني فيما بعد).تدرج سي حيدوش في الرتب العسكرية لجيش التحرير إلى غاية رتبة ضابط أول (*Lieutenant*)حيث تمت ترقيته ليشغل المسؤول العسكري للمنطقة الثالثة من الولاية الثالثة.

وللعلم أن أخاه رابح المعروف باسم رابح محرز هو أيضا شهيدا، نال الشهادة في عملية لجلب الأسلحة ضمن قافلة في مارس 1958 بالحدود الشرقية، ولعائلة حيدوش 10 شهداء[38].

- تكمن أهمية هذه المعركة أنها وقعت في فترة زعمت فيها فرنسا أنها على وشك الانتهاء من تهدئة الجزائر الثائرة *La pacification de l'Algérie*، وأنها في الربع ساعة الأخير فاستقدمت 24 دبلوماسي (اغلبهم من الانجليز) ليشاهدوا هذه المعركة على متن طائرة كمثال لأعمال التهدئة، غير أن هذا الوفد اخذ نظرة أخرى فصرح البعض منهم أن الأمر لا يتعلق بعملية تهدئة ولكنها حرب حقيقية(بن جديد، 2011: 138). لقد دحض حيدوش ورفقاءه من خلال هذه المعركة المزاعم الفرنسية والدعاية الكاذبة القائلة إن الثورة تحتضر وأن جيش التحرير يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومن جهة أخرى اثبتوا للعالم أن القتال لازال على أشده وأن الإصرار على تحرير الوطن لا رجوع فيه.

- تأثر سي عبد الرحمان بن سالم بالمأساة التي تعرضت لها قافلة حيدوش، فنظم هجوما انتقاميا على مركز عين الزانة بسوق أهراس في 14 جويلية 1959 وهو العيد الوطني الفرنسي، واحتل المركز وتم تخريبه وتحطيمه بعد القضاء على العديد من العساكر، وقبل مغادرة المركز تم إنزال العلم الفرنسي ورفع العلم الجزائري مكانه [39].

- وقد تم تخليد هذه المعركة بإقامة معلم تذكاري يتوسط مقبرة شهداء كومندو سي حيدوش في نفس المكان الذي وقعت به على ضفاف واد السيبوس بحي سيدي سالم، وفي مدخل هذه المقبرة دونت على لوحة رخامية عبارات تؤرخ لهذه الملحمة وبجانبها محركات وأجزاء من هياكل الطائرات الثلاثة التي تم إسقاطها.

- يذكر أيضا أن المجاهد بوطرفة الفاضل رحمه الله وهو واحد من الذين أمنوا المرور لقافلة حيدوش لما مرت بالناحية التي كان يشرف عليها بصفته قائدا لها، تأثر تأثرا شديدا لما بلغه نبأ استشهاد أفراد هذه القافلة. وقد أوصى في أيام حياته الأخيرة أن يدفن بجوارهم في مقبرة الشهداء، وكان له ذلك، حيث دفن بها يوم وفاته بتاريخ 04 ديسمبر 2010.

38. شهادة المجاهد اغيل على بوجمعة وهو من قرية تماسين نواحي عزازقة وصديق الصبا لسي حيدوش، جريدة الوطن، المرجع السابق.
39. شهادة المجاهد زغدود مبارك السبتي، مقابلة اجريت معه بمنزله بتاريخ 14 سبتمبر 2019.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي تطرقنا فيها إلى جانب مهم من فصول تاريخ ثورتنا المجيدة، ألا وهو قضية تسليح الثورة التي أرهقت قيادتها وجيش التحرير الوطني في مواجهة السياسة الفرنسية التي انتهجتها لمنع دخول ووصول الأسلحة إلى ارض المعركة. ولكن ورغم كل تلك الإجراءات والإمكانيات المادية التي رصدت فان قيادة الثورة وجيش التحرير الوطني واجهتفي الداخل والخارج هذه السياسة ورفعوا التحدي واستمرت الثورة.

ومن جهة أخرى أبرزنا بطولات وتضحيات قوافل التسليح التابعة للولاية الثالثة التاريخية في عدة مواقع أين أبلت البلاء الحسن واظهر أفرادها شجاعة نادرة وفضلوا الموت والسلاح في أيديهم على الاستسلام للعدو، وهم بذلك أعطوا مثالا رائعا للإنسانية في التضحية من اجل الوطن والحرية.

هؤلاء الرجال الذين تحدوا مخاطر الأسلاك الشائكة والمكهربة، وتحدوا حقول الألغام المزروعة في مسالكهم، فلا عمليات التمشيط الشامل التي كان يشنها العدو من الحين والآخر ولا العمليات العسكرية الضخمة المبرمجة كانت لتنقص من عزيمتهم وإرادتهم القوية في إيصال السلاح إلى إخوانهم ولهذا صحت تسمية قوافل السلاح بقوافل المجد.

ويبقى الأمل قائما في إمكانية التطرق إلى الجزئيات المرتبطة بتاريخ قوافل التسليح من خلال تضافر الجهود بين الباحثين لكونه أيضا موضوعا في غاية الأهمية من حيث غناه بالحقائق التاريخية التي لازالت غامضة.

الملاحق:

الخارطة 2: التنظيم الاقليمي للولاية الثالثة (1956-1962)
المصدر: عبد الحفيظ أمقران الحسيني. مذكرات من مسيرة النضال والجهاد. دار الأمة. الجزائر. 2010. ص 184.

الصورة 01: جانب من معركة جبل السطيحة بسكيكدة واستعمال النابالم.

الصورة 02: جانب من معركة جبل السطيحة بسكيكدة.

الصورة 03: جانب من معركة سيدي سالم «معركة لقبائل » بعنابة.

الصورة 04: محركات ثلاث طائرات أسقطها كومندو حيدوش في معركة سيدي سالم بعنابة.

الصورة 05: أضرحة شهداء كومندو سي حيدوش بمقبرة شهداء معركة سيدي سالم بعنابة.

VIOLENTS COMBATS EN ALGÉRIE

C'est à 6 kilomètres de Bône, entre l'aérodrome des Salines et la cité de regroupement de Sidi Salem, que s'est déroulé le combat opposant divers éléments des forces de l'ordre à une importante bande rebelle. Commencée à 4 heures, hier matin, l'opération était terminée un peu après midi. Toute la bande a été détruite. Quarante-quatre rebelles ont été tués et un fait prisonnier, du côté des forces de l'ordre : 5 légionnaires et 1 parachutiste ont été tués et une quinzaine de militaires ont été blessés. La totalité des armes dont les rebelles étaient porteurs est tombée aux mains de l'armée. La bande, qui comprenait 45 Kabyles, avait franchi le barrage électrifié au nord à proximité du littoral et se rendait en Kabylie, après avoir été « préparée » en Tunisie.

Un âpre combat s'engagea près des rives de la Seybouse. Acculé contre le fleuve, ayant devant lui des forces qui l'encerclaient, le groupe rebelle résista jusqu'à ce que l'aviation intervint. Avions de bombardement et « Mistral » bombardèrent et mitraillèrent le terrain jusqu'à 11 heures environ. Ensuite l'assaut fut donné par les troupes, avec l'appui d'éléments blindés. Peu après midi tout était terminé. 25 06 1959

AUX PORTES DE BONE

Une bande préparée en Tunisie a été anéantie 25 06 1959

Bône, 24. — (A.F.P.) C'est à six kilomètres de Bône, entre l'aérodrome des Salines et la cité de regroupement de Sidi Salem, que s'est déroulé le combat opposant divers éléments des forces de l'ordre à une importante bande rebelle.

Commencée à 4 heures, ce matin, l'opération était terminée un peu après midi. Toute la bande a été détruite. Quarante-quatre rebelles ont été tués et un fait prisonnier. Du côté des forces de l'ordre : cinq légionnaires et un parachutiste ont été tués et une quinzaine de militaires ont été blessés. La totalité des armes dont les hors-la-loi étaient porteurs est tombée aux mains de l'armée. Trois postes de radio ont également été saisis.

La bande, qui comprenait 45 Kabyles, avait franchi le barrage électrifié au nord à proximité du littoral et se rendait en Kabylie, après avoir été « préparée » en Tunisie. C'est au cours de la nuit de mardi à mercredi que la localisation du groupe rebelle avait été réalisée sur un terrain proche de Bône. Dans la nuit, un dispositif d'encerclement avait été organisé et un immense piège fut ainsi tendu aux rebelles qui vinrent s'y faire prendre. L'action commença au petit jour. Des légionnaires parachutistes furent les premiers à se lancer à l'assaut de la bande qui, en état d'alerte, résista farouchement. Un âpre combat s'engagea près des rives de la Seybouse. Acculé contre le fleuve, ayant devant lui des forces qui l'encerclaient, le groupe rebelle résista jusqu'à ce que l'aviation intervint. Avions de bombardement et « Mistral » bombardèrent et mitraillèrent le terrain jusqu'à 11 heures environ. Ensuite l'assaut fut donné par les troupes, avec l'appui d'éléments blindés. Peu après midi tout était terminé. La bande était exterminée.

الصورة 06: مقالات بعض الصحف السويسرية حول معركة سيدي سالم بعنابة.

حيدوش على يمين الصورة (صورة نادرة)

البيبلوغرافيا:

–الأرشيف :

أرشيف ما وراء البحار باكس أون بروفانس، العلبة الأرشيفية رقم FR ANOM 93201/31.

–المراجع باللغة العربية(كتب ومقالات):

أحمد توفيق المدني. (1948). *جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية*. تونس: مطبعة الشريف .

الشادلي بن جديد. (2011). *مذكرات الشادلي بن جديد ، الجزء الأول*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

جمال حروز. (2018). *السياسة الفرنسية في الحد من التسلح وإستراتيجية الثورة في مواجهتها (خطي موريس وشال نموذجا) ، اعمال الملتقى الوطني حول الثورة الجزائرية و اشكالية التسليح بين الطموح و الواقع المنظم يومي 14 و 15 فيفري 2018، (ص ص 271 – 297)*. جامعة المسيلة: منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية.

عائشة لتيم. (2018). *قوافل التسليح من حجر مفروش الى خط موريس 1954 . 1962 ، الكتيبة الرابعة*. الجزائر: دار هومة.

عبد الحفيظ أمقران. (2012). *مسيرة النضال و الكفاح*. الجزائر: دار الأمة.

علي كافي. (1999). *مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1946-1962*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

عمر بلعربي. (سبتمبر, 2018). أساليب و مخططات شارل ديغول العسكرية والقمعية للقضاء على الثورة (خطا شال و موريس نموذجا). *مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية و الانسانية* (40)، الصفحات 40 – 54.

عمر تابليت. (2011). *القاعدة الشرقية ، نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف*. قسنطينة: دار الألمعية للنشر و التوزيع.

عيسى كشيدة. (2003). *مهندسو الثورة*. (موسى اشرشور، المترجمون) الجزائر: منشورات الشهاب.

كتاب جماعي. (2004). *من معارك المجد ، من إصدار وزارة المجاهدين*. الجزائر: مطبعة دار هومة.

مصطفى طالس و بسام العسلي. (2010). *الثورة الجزائرية*. الجزائر: دار طالس للدراسات والنشر والتوزيع للكتاب.

يحي بوعزيز. (2004). *الثورة في الولاية الثالثة التاريخية 1954 – 1962* (الإصدار 1). الجزائر: شركة دار الأمة.

– Ouvrages (Livres et articles):

1. Amokrane, A. M. (2012). *Le dur et invraisemblable parcours d'un combattant, mémoires et témoignages.* Alger: Edition Rafar.

2. Belahsen, B. (2012). *Les barrages électrifiés, lignes Challes et Morice.* Tlemcen: Sde.

3. Nezzar, K. (2017). *Recueil des mémoires du Général Khaled Nezzar.* Alger: Chihab éditions.

–Presse:

1. Le Monde (Journal) édition du 22 Janvier 1958

.2. L´Express, du 25 juin 1959 (Journal suisse)

3. Journal la Dépêche de Kabylie, du 12 Juillet 2012

4. Journal El-Wantan, du 30 Juin 2018.

5. Journal El-Wantan, du 02Juillet 2018.

6. Journal de Genève du 03 Juillet 1958.

Sites électroniques :

1. Site des anciens légionnaires : https://www.legionetrangere.fr/la-fsale/actualites-de-la-fsale/1918-jean-balazuc-le-2-rep-sur-l-arb-estahia-algerie-1958.html

2. https://www.aps.dz/ar/regions/67425-2019-02-21-16-22-57

3. https://www.aps.dz/regions/135707-revolution-algerienne-compagnie-d-acheminement-d-armes-ou-les-volontaires-de-la-mort